05) المشكلة الأولى [تاريخ الفلسفة اليونانية]

كيف استطاع العقل اليوناني الوصول بالفلسفة إلى أوجّها، بعد أن كان مكبّلا مدة قرونٍ بقيود الخرافة، وكيف دعا الإنسان إلى استثمارها في حياته الخاصة؟

مقدمة : طرح المشكلة

I. الوضعية المشكلة وتحليلها : **من الأسطورة إلى الفلسفة**

II. **فلاسفة ما قبل سقراط**

III. **ظهور الأتساق الفلسفية**

أولا : فلسفة أفلاطون

1 . من عالم المحسوس إلى عالم المُثُل؛

2 . المعرفة تذكّر؛

3 . خلود النفس؛

4 . نظرية الجمال ؛

5 . نظرية الأخلاق.

ثانيا : فلسفة أرسطو

1 . العلم بالأسباب والعلل ؛

2 . ترتيب الموجودات ؛

3 . المعرفة.

4 . الأخلاق؛

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

IV. الفلسفة الأخلاقية

. عند الرواقيين؛

. عند الأبيقوريين.

خاتمة : حلّ المشكلة

تطبيق : نص فلسفي

http://www.onefd.edu.dz

جميع الحقوق محفوظة (C)

مقدمة : طرح المشكلة

حاولت الفلسفة اليونانية أن تجيب على أسئلةٍ كثيرةٍ تتعلّق بأغلب مجالات المعرفة الإنسانية النظرية منها و العملية على حدٍّ سواء، فانصب التفلسف اليوناني على أهم القضايا التي شغلت الفكر الإنساني وما زالت تشغله، فبحثت في أصل الأشياء وفي مبدأها الأوّل وفي ماهية الأشياء وفي طبيعتها، وهي من أمّهات المسائل الفلسفية، بالإضافة إلى البحث في قيمة المعرفة وقيمة العمل الإنساني في البحث عن الانسجام والاعتدال في السلوك و التصرّف في مختلف المجالات، وهذا ما سنحاول دراسته من خلال معالجتنا لتاريخ الفلسفة اليونانية، لكن قبل ذلك تابع معنا ؛ أخي الطالب؛ الوضعية المشكلة التالية التي نمهّد بها لهذا الموضوع.

I. الوضعية المشكلة :

تأمل معي ؛أخي الطالب؛ ملخص أسطورة أوديب / أو أوديبوس.

لخص الأديب طه حسين هذه الأسطورة في كتاب" من الأدب التمثيلي اليوناني" على النحو التالي:" كان"لايوس بن لبديكوس" ملكا على مدينة ثيبة، فأنذره وحي الآلهة [كما أخبره بذلك الكاهن] بأنّه سيُقتل بيد ابنٍ له. وما هي إلا أن وُلد له صبي فأمر الملك بطرحه في العراء على جبل يقال له " كيتيرون". و لكن الراعي الذي أُمر بذلك أشفق على الصبي فأسلمه إلى رعاةٍ" بليبوس" ملك مدينة " كوزيتوس ". و هؤلاء أسلموه إلى مولاهم، فرباه و قام دونه حتى شبّ. ثم أخذ الفتى يسمع تعريضا بمولده فخرج يستشير الآلهة ، فأوحوا إليه أنّه إن عاد إلى وطنه فإنه سيقتل أباه وسيتزوج أمّه، فعدل الفتى عن مدينة كوزنتوس[لاعتقاده أن ملكها بوليبوس هو أبوه]. وقصد إلى مدينة ثيبة [وهي مدينة أبيه الحقيقي، لكنه يجهل

http://www.ouvid.edu.dz

ذلك]، والتقى في طريقه إليها برجل شيخ في بعض حرسه فكان بينه وبين الشيخ شجارٌ، فعدى الفتى على الشيخ فقتله [وكان الشيخ هو أباه، غير أنّه لا علم له بذلك]. ومضى الفتى في طريقه حتى وصل إلى مدينة ثيبة. وإذا حيوان غريب مُهلك [سفانكس / أبو الهول] قد قام على صخرة قريبًا من المدينة يلقي على كل من مرّ به لغزًا فإن لم يحله عدا عليه الحيوان فافترسه. وكان أهل ثيبة قد عرفوا موت ملكهم الشيخ في طريقه، ولم يعرفوا قاتله.

سفانكس حيوان أسطوري أرسلته هيرا Héra (في الأساطير اليونانية هيرا إلهة الزواج و حارسة خصوبة الزواج و النساء الوُضَّع) بعد مقتل ملك طيبة لايوسبن لبديكوس ليرهب شعب طيبة و يفتك به و أوديب Œdipe بحلّه للغز الذي قدمته سفانكس أنقذ المملكة من الهلاك و كُوفئ بالزواج من جوكستا Jocaste و هي أمّه و تولّى عرش طيبة .

وكان الهلع قد ملأَ قلوبَهم لِمَكَانِ هذا الحيوان من مدينتهم وسوء أثره فيهم، فأعلن "كريون" الوصي على الملك في المدينة أن أي الناس استطاع أن يخلّص المدينة من هذا البلاء فله عرشها، وله أن يتزوج الملكة. فلمّا أقبل الفتى [أوديبوس] ألقى عليه الحيوان لغزه[1]فحلّه وخرّ الحيوان صريعا، وآل مُلك ثيبة إلى هذا الفتى

[1]. يقول اللغز : "ما الكائن الذي يمشي في أول نهاره على أربع و في منتصف نهاره على إثنين و في آخر نهاره على ثلاث". وكان الجواب هو الإنسان الذي يحبو في طفولته الأولى على أربع

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

"أوديبوس" وتزوج الملكة [وهي أمّه وهو لا علم له بذلك] و وُلد له منها أبناء. ثم ظهر وباءٌ في المدينة وأشتد خطره على أهلها، فأرسل الملك يستشير الآلهة، فأوحى له الآلهة أن هذا الوباء لن يُرفع عن المدينة حتى يُعاقب قاتل الملك على جريمته. وأعلن "أوديبوس" في الناس أن قاتل الملك عدوّ الشعب، فلا ينبغي إيواؤه ولا التستّر عليه. ثم استكشف أنّه هو قاتل الملك، وأنه قد تزوج أمه، وأن أبناءَه همْ في الوقت نفسه إخوته لأمّه، فاقتص من نفسه وفقأ عينيه بيده ونفى نفسه من المدينة، وقتلت أمه نفسها"[1].

تحليل الوضعية المشكلة : من الأسطورة إلى الفلسفة

أخي الطالب؛ أعد قراءة هذا الملخص على مهل، فأوّل ما يبدو لك أن الأسطورة، تحكي مأساة شخص يُدعى أوديبوس، أو مأساة أسرة لايوس بن لبديكوس. إن لايوس عندما أمر بطرح ابنه في العراء لِيَهْلَكَ، لم يكن غرضه سوى الهروب من القدر الذي أوحت به الآلهة، وهو أنّه سيُقتل على يدي ابنه أوديبوس. وعندما قرّر أوديبوس عدم العودة إلى مدينة كورنتوس ، فلكي لا يقتل أباه ولا يتزوج أمه كما أوحت الآلهة بذلك. لكن في النهاية لم يحدث إلاّ ما أوحت به الالهة. إنّه قتل أباه وتزوج أمه.

إن هذه الأسطورة في ظاهرها تتحدث عن أحداث جزئية لأناسٍ معيّنين في زمنٍ محدّدٍ وفي مدينة محدّدةٍ. لكن جوهر الأسطورة يريد أن يخبرنا عن حقيقة الإنسان ككلٍّ، عن مصير الإنسان في جميع الأزمنة وفي مختلف الأمكنة

ثم يمشي على قدميه فإذا أدركته الشيخوخة استعان بعصا يتكئ عليها تساعد قدميه على الوقوف والسير.

[1]. سوفوكليس من الأدب التمثيلي اليوناني ترجمة طه حسين – دار العلم للملايين الطبعة الرابعة 1986، ص. 190/189.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

على كوكب الأرض. هذا الإنسان الذي يمثّله "أوديبوس" في هذه الأسطورة هو مجرد لعبة في يد القدرلا فكاك له منه. فمصائر البشر محدّدة سلفًا في عالم الغيب، وكل منهم يتصرف بحسب ما حدّدته الآلهة.

فالأسطورة، إذن، لا تتحدث عن شخص أو أسرة، بل تتحدث عن الإنسان أينما كان وفي أي زمان وُجِد. تتحدث عمّا هو عام و شامل. وهذا ما **يجعل من الاسطورة تفسيرًا**، وليس مجرد سرد لأحداثٍ. وبهذا المعنى هي أقرب ما يكون من الفلسفة، لكنها مع ذلك لم ترقَ إلى صفّ الفلسفة، لأنها تقوم على الرمز والتخييل[1]، أما الفلسفة فتقوم على الإبانة والاستدلال والتحليل وكل العمليات التي تستلزمها الصياغة العقلية.

أخي الطالب؛ إن الفلسفة ممارسة نظرية تقوم على التأمّل والتجريد وهو ما عبّر عنه " ثيوكاريس كيسيديس" في كتابه جذور المادية الديالكتيتكية . هيرقليطس . قال : " فالنظرية هي جوهر الفلسفة اليونانية، الذي جعل منها فلسفة تأملية، تفكرية وعقلانية. ففي النظرية (التأمل)، كان الفلاسفة اليونانيون يرون فيها المصدرالرئيسي للمعرفة العلمية للعالَم. والمعرفة العلمية تتجلى، في نظرهم، في مفهومٍ عقلاني للعالم؛ أي في مفهوم قائم على استنتاجات العقل.[...] فلم يعرفوا التجريبية من حيث هي منهج للمعرفة، وللتحقّق من الأحكام النظرية. ولجهلهم الاستقراء لجأ الهيلينيون (اليونانيون)، بشكل واسع، إلى التفكيرالاستدلالي، القائم بحسب المنطق، على استخلاص كل القضايا من المقدمات العامة المسلّم بها. فكانوا أقوياء في المنطق، لكنهم لم يمتلكوا إلاّ فكرة عامة جدًّا عن خصائص

---

[1]."إنّها من نتاج الخيال، ولكنها ليست مجرد وهم". كما يقول هـ، فرنكفورت في كتابه: « ما قبل الفلسفة ».

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة (C)

الاشياء. ومعروف أنّهم لم يصلوا في ميدان العلوم الطبيعيةِ إلى أبعد من فكرة العناصر الأربعة (الماء، التراب، الهواء، النار)، التي حاولوا بواسطتها، تفسير ظواهر الطبيعة. وهذا القول ينطبق أيضا على أبي المنطق: "أرسطو"، الفيلسوف و عالم الطبيعيات[1]".

و من جهة أخرى، الأسطورة مثلها مثل الفلسفة **تعبّر عن جهل الإنسان ومدى رغبته في التخلّص من هذا الجهل.** وقد عبّر "أرسطو" عن هذا الشبه حيث قال : " لذلك حتى حبّ الأساطير كان من جهةٍ ما حبّا للحكمة " . من كتاب ما بعد الطبيعة . .

إن الأسطورة بسبب أسلوبها في التصويروالتشبيه، وابتعادها عن التجريد، كانت أقرب إلى ذهنية الرجل البدائي وتساعده إلى حدٍّ ما على فهم العالَم الذي يعيش فيه. لهذا السبب فإن الأسطورة لا تمثّل أي سرد خرافي، وإنما يُنظر إليها من طرف معتنقيها **كسرد لأحداث حقيقية داخل نسق من العقائد المحددة، وهي في الظاهر تكون مقابل الخطاب العقلاني.**ولا يخلو أيّ مجتمع من الأساطير بل حتى في مجتمعاتنا الحديثة والتي يهيمن عليها العلم لا تخلو من الأسطورة، مثل أسطورة الصحون الطائرة والتي اعتنى بدراستها وتحليلها عالم النفس"كارل غوستاف يونغ".

في الجملة؛ أخي الطالب؛ تمثّل الأسطورةُ حالةً من حالات الفكر البشري، الذي ظلّ دائما يريد التخلّص من الجهل، ومعرفة ما يحدث حوله من ظواهر الطبيعة والإنسان وعلاقة ذلك بعالم الغيب.

---

[1]. ثيوكاريس كيسيديس – جذور المادية الديالكتيكية، هيرقليطس. ترجمة حاتم سلمان – دار الفرابي –بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1987 ص ص 31/30.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

وتميل إلى تفسير الظواهر تفسيرًا دينيًا ؛ أي بافتراض آلهة تتحكّم بالظواهر وتفرض على البشر قرابين من أجل أن تحميهم من أخطار تلك الظواهر. وهذا يعني أن الأساطير تطرح مسائل ميتافيزيقية، ولعلّ هذا ما جعلها **تمثّل مرحلة وسطى بين التفكير الساذج الذي يقوم على معطيات الحس الخام، وبين التفكير العقلاني الذي يقوم على التجريد والتعميم**، وعلى هذا النحو تكون الأسطورة قد مهّدت لظهور الفلسفة. وقد تحدثت الأساطيرعن الخلق والطبيعة والإنسان، وهي القضايا ذاتها التي ناقشتها الفلسفة.

إن الانسان البدائي وجد نفسه في مواجهة طبيعة تفوقه قوّة وعنفًا، وكي يعوّض عن ضعفه المادي حيال الطبيعة، سعى إلى معرفة حقيقة ظواهرها، واجتهد في معرفة أسباب حدوثها كي يحمي نفسه من آثارها المدمرة. وبدافع من خوفه ورغبة جامحة في النجاة من سطوتها جنحَ عقلُ الرجل البدائي إلى الخيال. و**افترض وجود قِوى غيبية تتحكّم بتلك الظواهر**، وأسند لكل ظاهرة من ظواهر الطبيعة إلهً يتحكّم بها وتجري بأمره.

ونسب الإنسانُ البدائي للطبيعة الجامدة و الحيوانات أرواحًا كروحِه، وردّ أفعالَها وظواهرَها إلى **إرادةٍ خفيّة يتصوّرها على نحو ما يتصوّر إرادته هو**، إرادة تعمل بحرية ذاتية دون تقييد بقانون أو نظام، ودون الخضوع لمنطقِ العلل. بل إن هذه القوى الخفية أو الأرواح أو الآلهة كانت هي **العلل الأولى للأشياء ولحركات الإنسان**، ولهذا توجَّه الإنسان البدائي إليها بالعبادة وأنشأ طقوسا دينية وسحرية للاحتماء من طغيان الطبيعة. وقدّم تفسيرًا لكلّ ذلك من خلال

الأسطورة. وظهر هذا أيضا في أساطير اليونانيين قبل ظهور الفلسفة. عبّر "ثيوكاريس كيسيديس" عن الحالة الفكرية والعقيدية لليونانيين في تلك الفترة قال : " فآلهة الأولمب•هي كائنات أثيرية• حيّة، كائنات "جسدية . روحية" و"روحية . جسدية (أثيرية)"، وهي حاضرة في كلِّ مكان من الطبيعة. لذلك لا شيء في الطبيعة ميت مطلقا، وبلا حياة، وبلا حراك. فالحياة تسري في كل مكان والآلهة تملأ كلَّ شيء. فالآلهة (وبالتالي) الحياة تسكن الغابات الكثيفة الظليلة، وينابيع المياه، والسواقي الملتوية، والعشب المخضوضر في الحقول بمنأى عن السياسة والمدينة "[1].

هكذا صور الفكرُ الأسطوري العالمَ ، حيوانات ونباتات تفكّر وتريد مثلما فعل "سفانكس" مع " أوديبوس" وآلهة تتحكّم بالطبيعة ومصير البشر من وراء حجاب الغيب، ولهذا يلجأ البشر للكهنة والمنجمين لمعرفة مقاصد الآلهة وما تطلبه من البشر من تضحيات وقرابين كي ترضى ولا تسلّط عليهم غوائل الطبيعة. فالحياةُ تملأ الوجودَ، وكلّ شيءٍ يضجّ بالحياة. وقد تميّزت هذه المرحلة من الفكر

• الأولمب هو جبل في اليونان. كان اليونانيون يعتقدون أنّه موطن آلهتهم الأسطورية، وإليه تنسب الألعاب الأولمبية.

• أثيرية نسبة إلى الأثير وهو " **واحد من أقدم المفاهيم. وقد أشار فلاسفة الطبيعة القدامى الى وجود مادة غير مرئية وغير ملموسة تملأ الفضاء كلّه سواء ما كان منه ممتلئًا أو فارغًا وقد اشتقّت كلمة أثير من أصل يونانى لكلمة تعنى (الهواء الكونى) أو (الأساسى) ونظر إليها بعض الفلاسفة اليونان باعتبارها العنصر الخامس من الطبيعة بعد العناصر الطبيعية الرئيسية : الأرض والهواء والماء والنار. أمّا عن اعتقاد وجود الأثير فقد نشأ بسبب الإيمان باستحالة وجود حيّز مفرغ بالكامل ولا يحتوى على اى شيء [....] اعتقد الفلاسفة أنه وسط رقيق وخفيف للغاية. أُخذ من الموقع التالي :** http//ameerfares.blogspot.com/2008/07.html

[1]. ثيوكاريس كيسيديس، المرجع السابق ، ص . 40.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

البشري بكونها كانت تُسْقِطُ الخصائص البشرية على جميع الكائنات الطبيعية والميتافيزيقية (ما وراء الطبيعية)[1].

II. فلاسفة ما قبل سقراط

في الحديث عن الفلاسفة ما قبل سقراط قال نيتشه: " فإن الفكر الفلسفي يقتفي دائما آثار الأشياء الجديرة بالمعرفة، والمعارف ذات الحجم والأهمية[2]". ثم قال : " حين يقول طاليس أن (الكلّ هوماء) [...] وهكذا فإن "طاليس" قد رأى وحدة الوجود، وحين أراد التعبير عنها، تكلّم عن الماء". وبهذا يحاول أن يعلمنا "نيتشه" أن الشيءَ المهمَ والجدير بالمعرفة حسب ما انتبه إليه "طاليس : هو " **أصل الأشياء و ليست الأشياء**". وعلى هذا النحو **ردّت الفلسفة اليونانية التعدّد إلى الوحدة**. فبعد أن كانت الأسطورة تحدثنا عن الأشياء المتعدّدة، وأنّ لكلِّ شيءٍ قوّةً غيبيةً أو إله يتحكّم به، ولهذا اعتنت الأسطورة بسرد التفاصيل، في حين وجّه الفلاسفة، حتى في مرحلة ما قبل سقراط، فكرَهم إلى **ما هو مهمّ و جدير بالمعرفة.**

---

[1]. وهي نزعة يعتقد أنصارها أن أفعال الطبيعة وما وراء الطبيعة (الآلهة ...) شبيهة بأفعال الإنسان. أنسنة الطبيعة Anthropomorphisme.

[2]. فريدريك نيتشه : الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي – تعريب سهيل القش – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1981 ص . 49 .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

لكن المهمّ والجدير بالمعرفة ليس واحدًا، على اعتبار أن التفلسف ممارسة شخصية، ومعاناة ذاتية للمشكلات الفلسفية. إن المشكلات الفلسفية ليست مطروحة على قارعة الطريق. إن تأمّل الفيلسوف لمشكلاته لا يشبه ملاحظة العالِم للظواهر، لأن هذا الأخير يتّجه بحواسه لما هو موجود وسابق لوجوده ذاته، أمّا الفيلسوف الحقّ فهو الذي يخترع المشكلات. **ولهذا فإن المشكلة الفلسفية، رغم شموليتها وكونيتها تظل ممارسةً شخصيةً.**

- وظهر **الطابع الشمولي للفلسفة** منذ البدايات مع فلاسفة ما قبل سقراط، مع "طاليس" الميلي(Milet)[1] الذي اعتبر "الماء" هو أصل كلّ موجود؛ أي **الجوهر الذي يتألّف منه كلّ موجود في الطبيعة**

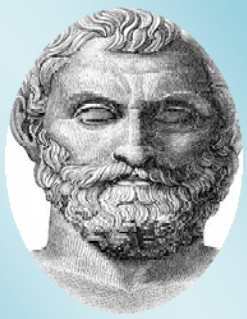

طاليس – Thalès

وكتب "نيتشه" موضِّحًا أهمية هذه الفكرة التي قال بها طاليس : " يبدوأن الفلسفة اليونانية تبدأ بفكرة غريبة وهي الموضوعة القائلة بأن الماء هو أصل كلّ الأشياء.فهل من الضروري حقًّا أن نتوقف عند هذه الفكرة وأن نأخذها على محمل الجدّ !؟ بالتأكيد، وذلك لثلاثة أسباب :

– **السبب الأول**، لأن الجملة تتناول بطريقةٍ ما أصل الأشياء؛

[1]. نسبة إلىMilet إحدى مدن في اليونان القديمة وهي تقع الآن في تركيا. وموقع هذه المدينة ساعد على أن يستفيدَ علماؤها الأوائل من التراث المصري وتراث الشرق الأوسط وينقلونه إلى اليونان.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

– ثم السبب **الثاني**، لأنّها تتناوله دون صورة وبمعزل عن السرد الخيالي،

– وأخيرا، السبب **الثالث** لأن هذه الجملة تتضمن ولو بشكل جنيني، **فكرة أن الكلَّ واحدٌ**. وحسب السبب الأول، مازال "طاليس" ينتمي إلى طائفة المفكرين الدينيين والخرافيين[1]، ولكنه يخرج عن هذه الطائفة للسبب الثاني ويظهر لنا كمفكّرفي الطبيعة، أمّا السبب الثالث فإنّه يجعل منه **أول فيلسوف يوناني**"[2]ومؤسس للفلسفة والعلم الطبيعي اليونانيين، إلى جانب كونه عالمًا رياضيًا وهو صاحب نظرية مشهورة في الهندسة " نظرية طاليس ".

- وإذا كان طاليس قد ردّ أصل الأشياء إلى الماء، فإنّ أنكسيمنس[3] **يردّ هذا الشتات الذي تتقدّم به الأشياء ؛ أي الطبيعة Physis؛ إلى الهواء**، فالهواء يشيع في كلّ أنحاء الوجود، فللموجودات أصلُ واحدٌ يتّخذ أشكالا و صورًا ، فتكون منه كلّ الموجودات.

- وعلى العكس من كلّ ذلك كلّه، يذهب هرقليطس[4] إلى أن **أصل الأشياء هو النار** وهذا لأن طبيعة النارأن تحرق، والاحتراق تغيّر، وكلّ الأشياء في

---

[1]. أي أولئك الذين أنتجوا الأسطورة – و بالفعل فإن طاليس تأثر بـ: هوميروس Homère أحد أكبر كتاب الملاحم والأساطير اليونانية. وملاحظة نيتشه Nietzscheهذه تفيدك؛ أخي الطالب؛ في كون الفلسفة لم تستقل على نحو مفاجئ وجذري عن الأسطورة، وإنّما كان استقلالها تدريجيا.

[2]. فريدريك نيتشه – المرجع السابق، ص 46 .

[3]. أنكسيمنس 588 – 524 ق . م Anaximène. من أتباع مدرسة طاليس.

[4] . هرقليطس 540 – 480 ق . م Héraclite المشهور بـ "هرقليطس الغامض"، نظرا لغموض و تعقيد فلسفته.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

العالَم، ظواهرلا تكفّ عن التغير.يقول هرقليطس: " **كلّ الأشياء تتتابع، ولا شيىء يثبت، فأنت لا تستطيع أن تنزل مرتين في النهر نفسه، لأنّ مياهًا جديدة تجري حولك متتابعة**" فإذا طبقنا هذا على عناصر الطبيعة فنجد : إنّ النار تحيي موت التراب، والهواء يحيي موت النار، والماء يحيي موت الهواء، والتراب يحيي موت الماء "، وهكذا تتحوّل الأشياء إلى النار، وتعرف هذه النظرية بنظرية العناصر الأربعة التي فسّرت **أصل الكون والمبدأ الأول** الذي ترجع إليه هذه الكثرة، والفلسفة التي تناولت هذه الموضوعات هي **الفلسفة الطبيعية**.

❖و يرى إمبذوقليس[1] أنّ نشأة الأشياء ترتدّ إلى العناصر الأربعة: التراب والماء والهواء والنار، وهي عناصرلا تنقطع فيما بينها، عن **الاتصال والانفصال والاختلاف**، وذلك تبعًا لتفاوت نسبة المزج فيما بين هذه العناصر الأربعة، ومحرّك هذه العناصر، **قوّتان متضادتان هما : "الحبّ** l'Amour "، **و" النفور** la Haine "، **تجمعان و تركّبان العناصر إلى عددٍ لاتهائي من الأشكال والصور** .

❖و أخيرًا يعتقد "ديمقريطس[2]" وأصحابُه أن هناك مبدأين أساسييْن يمكن ردّ تكوين العالَم إليهما : **الملأ**، وهو عالَم الأشياء التي تتكوّن كلّها من عنصرٍ واحدٍ بسيطٍ لا يقبل التجزئة، يدعونه الجوهر الفرد أو الذرّة *atomos*، و**الفراغ** الذي تتحرّك فيه هذه الجزئيات البسيطة، وهذا التنوع يرجع في الأخير إلى **تعدّد الصور التي تتركب وتتألّف بها هذه العناصر البسيطة**؛ والعناصر البسيطة دقيقة يتعذّر إدراكها بالحواس.

---

[1] . إمبدوقليس493 – 433 ق. م Empédocles و هو تلميذ هيرقليطس .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

[2] . ديمقريطس 460 – 370 ق .م Démocrite فيلسوف طبيعي يوناني.

❖يعتقد أناكساغوراس[1] أن وراء الأشياء قوّةً عاقلةً مجردة وبصيرة « noûs » ، وهي التي تُدخل **النظام والانسجام** في هذا الكون، فالمادة والعقل إذن عنصران قديمان وأزليان مستقلان، والعقل هو الذي بعث الحركة في المادة ونظّمها، وهذه الأفكار ستكون منطلقًا لفلسفة أرسطو لاحقًا.

❖ ويرى فيثاغورس[2]، باعتباره رياضيًا،أن العدد هو أساس النظام والانسجام والتناسق Harmonia[3] في الكون، فلا يمتاز شيىء عن آخر إلاّ بالعدد والنسب التي تحكمها. فالعدد هو جوهر الوجود و حقيقته، فكلّ ما في الكون مركّب من الأعداد، ولمّا كانت الأعداد كلّها متفرعة من الواحد، كان الواحد أصل الوجود، عنه نشأ ومنه تكوّن. ويرجع هذا إلى ما رآه فيثاغورس وأتباعه من انسجامٍ وتناسقٍ في حركة الكون ومن انسجامٍ بين الأشياء.

---

[1] . أناكساغوراس 500 – 428 ق.م Anaxagore فيلسوف طبيعي يوناني وكان سبّاقًا للقول بنظرية الأجزاء التي سيفسّر بها ديمقريطس أصل الأشياء

[2]. فيثاغورس 570 – 490 ق . م Pythagore فيلسوف ورياضي يوناني، صاحب نظرية في الهندسة " نظرية فيثاغورس "، والمدرسة الفيثاغورية مدرسة أخلاقية وصوفية مدرسة زهدٍ وعبادةٍ .الموسوعة الفلسفية لـ"عبدالرحمن بدوي، ص . 228.

[3] . وستظهر هذه الفكرة في العصر الحديث بتصوّرٍ جديدٍ كفكرة، التناسق المسبق L'HARMONIE PRÉÉTABLIE ، في مجال العلم والفلسفة.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

إن هذه الفلسفات ؛ أخي الطالب ؛ كانت تبحث عن ردّ التنوع والكثرة إلى الوحدة ؛ فلم تبحث عن الأشياء في ذاتها، بل كان تبحث عن **المبدأ الأول والنظام والتناسق** الذي يرجع إليه كلّ شيءٍ، وستتبلور كلّ هذه الآراء والمواقف في أنساقٍ وأنظمة فلسفية، سنعرض لنسقين فلسفيّيْن هامين، هما : النسق الفلسفي الأفلاطوني والنسق الفلسفي الأرسطي.

III. ظهور الأنساق الفلسفية في اليونان

أولا . فلسفة أفلاطون

1 . العالم المحسوس وعالم المُثُل :

إن الفلسفة ما قبل سقراط رغم القفزة التي أحدثتها في تأمل الكون وظواهره، وردّت الكثرة إلى وحدة والظاهر إلى الخفي، فإنّها مع ذلك ظلت تفسّر ظواهر الطبيعة بظواهر الطبيعة، فقد ردت الأشياء إلى الماء أو النارأو التراب أو الهواء أو هذه العناصر مجتمعة، ولهذا عرف هؤلاء الفلاسفة بـ" الطبيعيين".

أما بالنسبة للفلاسفة ما بعد سقراط، وابتداءًا من أفلاطون، فإن التفسير الميتافيزيقي أصبح يمثّل جوهر الفلسفة. فالذي أصبح يحدّد الوجود ليس الوجود ذاته، إنّما الماهية. ومن هذا المنطلق تخيّل أفلاطون عالمين متوازيين "عالم الماهيات" و "عالم الأشياء" ، يتصف **الأوّل** بالثبات والوحدة والمطلقية، ويتصف **الثاني** بالتغير والتعدّد والنسبية، **الأوّل مقره عالم المُثُل، وسبيل إدراكه العقل، والثاني مقرّه عالم المحسوسات وسبيل إدراكه الاحساس** والحقيقة ترتبط بالأوّل والمظاهر ترتبط بالثاني.

هذان العالمان متوازيان، لكنهما ليسا منفصلين، لأنّ الماهية جوهر والظواهر مظهره الخارجي، والظواهر معطيات حسية تجد وحدتها في الماهية.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

وتعتبر هذه **المسلمة** هي الخيط الرابط الذي اعتمد عليه "أفلاطون" في تنظيم مختلف نظرياته في الوجود والحياة.

نظرية المعرفة بين عالم المثل و عالم الظواهر:(أمثولة الكهف)•

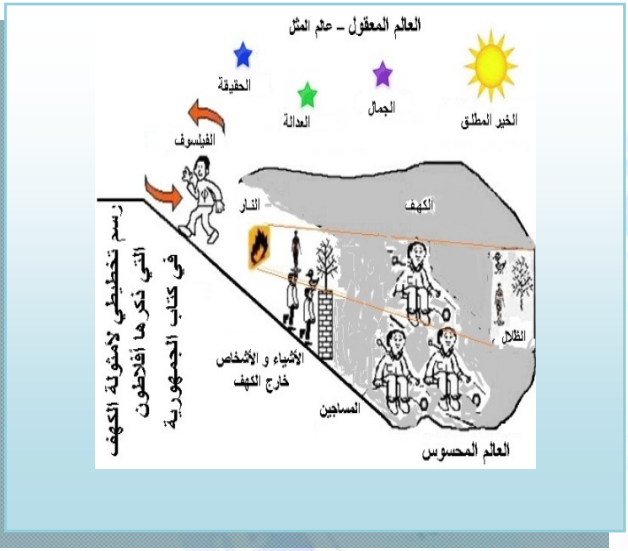

أ. لنتخيـــل ؛ أخـــي الطالـــب؛ أناســـا مســـجونين داخل كهف في باطن الأرض منـذ طفولتهم، بالسلاسل فـي أقـــدامهم وأعنـــاقهم، بحيـــث تستعصي الحركة عليهم. وفي أعلى الكهف فتحة ينفذ منها النور فيضيء أرجاء الكهف. و هـــم لا يبصـــرون إلاّ مـــا ينطبع من ظلالٍ على جدار الكهف الذي هو قبالتهم، لأن ظهورهم من جهة فتحة الكهف. وخلفهم نار ملتهبة أعلى من مستوى رؤوسهم، ويقع نورُها على جدار الكهف المقابل حيث ينظرون. وبينهم وبين النار جدار غير مرتفع كثيراً، هو أشبه بالستارة التي يُلعب من ورائها بالدمى. ويوجد خلف ذلك الجدار قوم آخرون يحملون جميع أصناف الأشياء، والتماثيل المصنوعة من خشبٍ وحجارة، فتظهر ظلال هذه الأشياء على جدار

• إن الأمثولة – Allégorie قصة رمزية يقترحها الفيلسوف أو المفكر من أجل توضيح الأفكار المجردة. وهي تختلف عن الأسطورة في كون هذه الأخيرة ليس لها مؤلف معروف، ويعتقد معتنقوها أنها تمثل الحقيقة. أما الأمثولة أو القصة الرمزية فواضعها وقارئها، على السواء يدركان أنها ليست حقيقة و لكن تمثيل رمزي لهذه الحقيقة.

http://www.onefd.edu.dz
جميع الحقوق محفوظة ©

الكهف المقابل للمقيّدين داخل الكهف فيبصرونها، وهم لم يروا طوال حياتهم غير هذه الظلال، فاعتقدوا أنّها حقائق الأشياء. فلوأن شخصًا منهم تمكّن من تحطيم قيوده، وتمكّن من الوقوف على قدميه، والتفت نحو مصدر النور، فلن يقوى على رؤية الأشياء الحقيقية التي اعتاد على رؤية ظلالها، بسبب شدّة البريق الذي يخطف الأبصار. ثم جاء أحدٌ وأخبره أن ما كان يراه من قبل، هو مجرّد أشباح وأن ما يراه الآن هو حقائق الأشياء، فلن يصدقه، بل يعتقد أن الظلالَ التي كان يراها قبل تحطيم قيوده أكثر حقيقة مما يراه الآن، فيعود إلى موقعه الأول داخل الكهف. ولوأنّه بعد الترويض، يصل إلى مواجهة النورو بالتالي الصعود إلى خارج الكهف ورؤية الأشياء عينِها كما هي موجودة في العالم خارج الكهف. فإنّه سيحصل له اليقين أن ما يراه في النور هو الحقيقة، وما كان يراه من قبل لم يكن سوى ظلالٍ. فلوأن هذا الشخص رجع إلى أهل الكهف وأطلعهم على الأمروأخبرهم، أن الذي يرونه ليس سوى ظلال وأنّ الحقائق توجد خارج الكهف، لسَخِروا منه.

في هذه الأمثولة (القصة الرمزية) يريد أن يخبرنا أفلاطون أن هناك عالمين، عالم الظواهر أو عالم المحسوسات ويدرك بالحواس والحقيقة توجد خارجه. وعالم المثل أوعالم المعقولات ويدرك بالعقل وينطوي على حقائق الأشياء. ومن هذا المنطلق يعتقد " **أفلاطون** " : **أن العقل هو مصدر المعرفة الحقيقية اليقينية، وأن الحواس لا تُطلِعنا إلاّ على معارفٍ جزئيةٍ وغير حقيقية.**

الكهف في الأمثولة (القصة الرمزية) يشيرإلى العالم المحسوس ويشير ضوء النار إلى الشمس، كما يشير الصعود إلى صعود النفس إلى العالم المعقول أين يوجد الخير المطلق وترمز له الشمس في الأمثولة وهو آخر ما تدركه النفس في صعودها، مرورًا بإدراك الحقيقة والعدالة والجمال.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

إن الناس العاديين الذين يعتمدون على حواسهم في معرفة الظواهر يشبهون الأشخاص المسجونين داخل الكهف، وحواسهم التي يعتمدون عليها في المعرفة هي بمثابة القيود التي تشدّهم من الأعناق والأقدام وأن الموضوعات التي يدركونها بحواسهم هي بمثابة الظلال التي تنطبع على جدار الكهف وأصولها الحقيقية خارج الكهف. والشخص الذي حطّم قيوده هو الفيلسوف الذي تخلّص من **الأوهام** التي نشأت عن الانطباعات الحسية، وذلك بفضل **التأمل العقلي**.

2 . المعرفة تذكر :

بالنسبة لأفلاطون أنّ المعرفة الحقيقية لا تحصل بالتجربة والتعلّم وإنّما بـ " **التذكّر** " . وذلك على اعتبار أن نفسَ الإنسانِ قبل ولادته كانت تعيش في عالم المُثُل وكانت ترى الحقائق المطلقة والثابتة، وكانت مطّلعةً على الصُوَرِ المُثْلى جميعها، فلمّا حلّت بالجسد عند الولادة وانغمست في الحياة المادية، نسيت ما كانت قد عرفته أو غمضت عليها معرفةُ ما في هذا العالم المحسوس. فكلّما رأت في عالمنا شيئا، تحاورُ نفسَها وتسأل عن ذلك الشيء ما هو؟ وتدريجيا، تتذكر أنّها كانت قد رأت **مثال** صورة هذا الشيء في عالم المثل فتعرفه. فإذا وقع بصرُها على شيءٍ جميلٍ تذكّرت الجمال الذي عرفته في عالم المثل، ولكن هذا لا يحدث عفويا وإنّما بترويض العقل على التفكير والتأمل[1].

---

[1]. يقول أفلاطون : « ولكن كلّ الذين يتعلّقون بي . رغم أن بعضَهم جاهلٌ تمامًا في البداية . يحقّقون كلُّهم أثناء تبادلهم معي، وإذا سمحَ لهم الإله بذلك، تقدّمًا عجيبا لا في حكمِهم فقط ولكن كذلك في حكم الآخرين. إنّني لمْ أعلمْهم أبدًا شيئًا وأنّهم **عثروا بأنفسهم على كثيرٍ من الأشياء الجميلةِ في أنفسهم و ولّدوها**، وهذا أمرٌ واضحٌ وضوحَ النهارِ، ولكن وأن ولدوها فذلك بفضل الإله وبفضلي أنا"».

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

3 . نظرية خلود النفس

لمّـا كـان الوجـودُ مؤلّفًـا مـن عـالمين (العـالم المـادي المحسـوس وعـالم المثـل المعقـول)، ويمثّـل الانسـانُ حاصـلَ اجتمـاعِ هـذين العـالمين، حيـث ينتسب ببدنـه إلـى عالم المادة، وبنفسـه إلـى عالم المُثُل، ولمّا كان عالم المادة هو عالم التكوّن والفساد فلا بد أن البدن ينشأ وينمو ويموت، ولمّا كانت النفس تنتسب إلـى عـالم المثل، وهو عـالم ثابت لا يتغير ولا يطرأ عليه تكوّن ولا فساد، لزم أن النفس لا يلحقها التحلّل والفناء، وبالتالي فهي خالدة. **فالنفس في عالم المثل تدرِكُ المثلَ، وبما أنّ النفس لا تستطيع إدراك المثل إلاّ إذا كانت شبيهةً بها، وبما أنّ المثلَ خالدةٌ، فيجب أن تكونَ النفسُ أيضا خالدةً.**

4 . نظرية الجمال

يميّزأفلاطون بين فكرة الجمال وبين الأشياء الجميلة. فالجمال المطلق ينتسب إلـى عـالم المثل وهو **كامـل** و**مطلـق** و**ثابـت** و **واحـد**. أمّا الأشياء الجميلة فجمالها يتفاوت وبالتالي فيه **نقصان** و**تغير**، وبالتالي يفنى والأشياء الجميلة تدرك بالحواس، أما الجمال ذاته فلا يدرك إلاّ بالعقل.

5 . نظرية الأخلاق

الأخلاق عند أفلاطون قسمان، بحسب نظرته للفرد و الدولة :

– أمّا أخلاق الفرد : فهي السعي إلى تحقيق الخير، فالخير أسمى الفِكر وأسمى الغايات، وهو غاية كلّ سلوكٍ إنساني، وانطلاقا من نظرته لثنائية العالم المعقول(عالم الكمال والمطلق) والعالم المحسوس (النسبي، المتغيّر ..)،

جميع الحقوق محفوظة ©

وما دام أن الخير المطلق من عالم المثل فإنّه لا يُدْرك إلاّ بالعقل[1]. والفضيلة عنده هي دائمًا توسط بين طرفين نقيضين، فالشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والكرم وسط بين البخل والإسراف، والفضائل الرئيسية،عند أفلاطون، أربع : **الحكمة** و**الشجاعة** و**العفة** و**العدالة**، وهذه الأخيرة ناتجة عن الاتساق الحاصل بين الفضائل الثلاث الأولى، وهي مُقابلة لقوى النفس : القوّة العاقلة والقوّة الغضبية والقوّة الشهوانية.

. أخلاق الدولة: إنّ الأخلاق عند أفلاطون ليس الفردُ غايتَها، بل المجموع؛ أي الدولة. فانطلاقا من تصوّره للمدينة الفاضلة، فإنها لا تقوم إلاّ بالمواطن الصالح، فالتربية التي أقرّها أفلاطون للأفراد هدفها تنشئة المواطن وهو أساس المدينة (الدولة) الصالحة، وأساس الترابط بين أخلاق الفرد وأخلاق المجموع هو اعتباره الدولة فرد إنساني مكبّر، و**طبقات** الدولة تقابل **قوى** النفس الثلاث في الإنسان : فطبقة الحكام تقابل النفس الناطقة (العاقلة الحكيمة)، وطبقة الجند تقابل النفس الغضبية(الانفعال) وطبقة الصناع تقابل القوة الشهوانية (الرغبة). و**فضائل الدولة الرئيسية** هي الحكمة والشجاعة والعفاف والعدالة[2]. **فالفضيلة والسياسة** عند " أفلاطون" **متلازمتان.**

---

[1]. « المعرفة فضيلة والجهل رذيلة»، وكما تلاحظ أن أفلاطون يحتقر كلّ ما يرتبط بالعالم الحسي.

[2]. يقول أفلاطون على لسان سقرا ط :« فواضح أن الدولة حكيمة شجاعة عفيفة عادلة ...، فالمعرفة المستقرة في أصغر طبقةٍ أو أصغر قسمٍ، أعني في الطبقة الحاكمة التي جادت على الدولة المنظّمة تنظيمًا يتّفق مع الطبيعة باسم (الحكمة) بمجموعها تلك الطبقة التي من حقّها و واجبها الاشتراك في المعرفة التي بها وحدها، بين كلّ أنواع المعرفة، تدعى تلك المدينة (حكيمة)، هي على ما يظهر، القسم الأقل عددًا في الدولة ... ، والدولة تكون **شجاعة** كما

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الخلاصة والاستنتاج :

تلاحظ ؛ أخي الطالب؛ مما تقدم عرضه أن الخيط الناظم لجميع نظرية أفلاطون هو المسلمة التي تقول بـ"**وجود عالمين :** ، عالم المادة وعالم المثل وعالم المادة هو نسخ ناقصة و مشوّهة لِما هو موجود في عالم المثل ويتحدد عالم المثل في الخصائص التالية :

ب. إنّ المُثُلَ حقائقٌ مطلقةٌ وهي أساس الأشياء المادية وجوهرها.

ج. إنها ثابتة لا تتغير، وكل مثال هو واحد في ذاته لا يتعدد وإنّما تتعدد و تتغير صوره الحسية الموجودة في العالم المادي.

د. و لأنها ثابتة، فإنه لا يلحقها كون ولا فساد و بالتالي فهي أبدية لا تفنى.

هـ. إنّها مجردة من الصفات الحسية، ولهذا فهي لا تدرك إلا بالعقل.

تكون حكيمةً، بالنظر إلى قسمٍ خاصٍ من سكّانها لأنّ لها في ذلك القسم قوّة تمكّنها من حفظها سالمة الانقطاع، بالرأي السديد في ما يخيف من الأشياء التي تتبىء أنّها هي ما قصده الشارع في التهذيب المقرّر...، ليس **العفاف** كأختيه، الشجاعة والحكمة، ينحصر في فئة من الناس، وبها تكون الدولة حكيمة أو شجاعة، بل هو صفة تعمّ جميع الفئات على السواء فيُنْشىء ترابطا بين الأقوى والأضعف ومن بينهما... فيحق القول : أنّ الجامعة العامة هي العفاف...، حسنا فقد اكتشفنا في مدينتنا ثلاثة مبادىء من أربعة،

على أقل تقديرٍ.هذا هو اقتناعنا الحالي. فما هو المبدأ الرابع الباقي الذي تشترك الدولة بالفضيلة؟ إنّنا نؤكد أنّه (**العدالة**)...، إنّ القانون الذي وضعناه في بدء تأسيسنا الدولة هو العدالة ». الجمهورية ص . 127 ، 128 .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ولا يمكن إدراك المثل إلا إذا تحرّر العقل من الحسيات . التي هي حقائق مزيفة . والتقاليد البالية والمعتقدات الفاسدة، وأن يتعلّم الإنسان
كيف يموت؛ أي كيف يُمِيت في نفسه غرائز الحياة المادية، لهذا قيل أن الفلسفة عند أفلاطون هي "الاستعداد للموت"[1] .

ثانيا . فلسفة أرسطو[2]

1 . العلم بالأسباب و العلل

إذا كان أفلاطون ؛أخي الطالب؛ قد قال بوجود عالمين، عالم المثل وعالم الظواهر وأن الأول يتحكم بالثاني ويمثل حقيقته وجوهره، فإن تلميذه " أرسطو طاليس" لم يجاره في هذا المذهب لكنه لم يبتعد كثيرا عنه، إذ لم ينكر وجود الظواهر الميتافيزيقية، و وجود الكليّات التي بها يحصل العلم وهي حقائق خالدة، لا تدرك إلا بالعقل.

إذا كانت الفلسفة بالنسبة لأفلاطون هي الاستعداد إلى الموت . يميت في نفسه غرائز الحياة المادية، حتى يتمكن من معرفة المثل .، فإن الفلسفة بالنسبة لأرسطو هي: " العلم بالأسباب والعلل الأولى"، و يتم ذلك بالانتقال من الظواهر إلى أسبابها وعللها.

---

[1]. وقد ذكر الكندي هذا التعريف في كتاب الحدود والرسوم، " وحدّها أيضًا من جهة فعلها العناية بالموت ... لأنّ إماتة الشهوات هي السبيل إلى الفضيلة". المصطلح الفلسفي عند العرب، د عبد الأمير الأعسم، ص 220 .

[2]. أرسطو 384 – 322 ق م Aristote فيلسوف يوناني أسس، مدرسة اللوقيون Lycée;Lycion ،وهي امتداد لأكاديمية أستاذه أفلاطون، وتنسب إلى المشائين Péripatéticiens من كلمة "Peripatos " التنزّه والتجوّل، لأنه كان يعلّم تلاميذه وهم يمشون ويتجوّلون. وكان له أثر كبير في الفلسفة الإسلامية، وسُمّي بـ"المعلّم الأول" .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

أخي الطالب ؛ لقد ميز أرسطو بين أربعة أنواع من العلل تحدِّد مجتمعةً وجود الأشياء في العالم وهي : العلّة الفاعلة، والعلّة الغائية، والعلّة الماديةو العلّة الصورية.

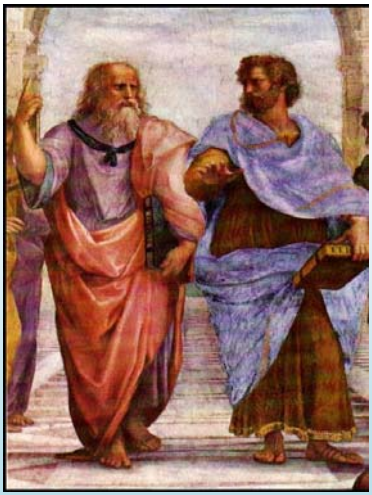
الفلسفة بين الواقع و عالم المثل

العلة الفاعلة Cause Efficiente : وهي **ما** به يكون الشيء، مثل النجار بالنسبة للكرسي.

العلة الغائية Cause Finale : وهي ما لأجله وُجد الشيء، أوالوظيفة التي وُجد لأجلها الشيء.

العلة الصورية Formelle : وهي ما يعطي للشيء ماهيته. بالعلّة الصورية خرج الكرسي من حالة الخشب الخام إلى حالته ككرسي؛ أي أعطت لقطعة الخشب هيئةً محدَّدةً تصلح لوظيفة معينة.

العلّة المادية Matérielle : ما منه تُصنع الأشياء كالخشب للأثاث والحجارة للبناء.

ثم يختزل "أرسطو" جميع هذه العلل في مبدأين أساسيين، هما **المادة** و**الصورة** . العلل الثلاث الأولى هي الصورة و العلة الأخيرة هي المادة ، و كانت تعرف في الفلسفة الإسلامية بـ"الهيولى[1]" .

الصورة Forme : بالنسبة لأرسطو، ليست مجرد مظهر خارجي يعطي للشيء هيأته العامة التي يُعرف بها. إن الصورة أكثر من ذلك، إنها المبدأ

---

[1] . الهيولى Hylé وهوعند الحكماء شيىء قابل للصُور مطلقا من غير تخصيص بصورة معينة. و هي عند الخوارزمي : المادة و العنصر والطينة .المصطلح الفلسفي عند العرب.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

المحرك للمادة (الهيولى) لتتطور فتأخذ هذه الصورة أو تلك. إن الصورة بهذا المعنى هي القوّة التي توجد في البذرة فتدفعها للتطور حتى تصير شجرة. فالصورة، إذن، هي الهيئة العامة للشيء و القوّة الداخلية التي تدفع الشيء ليصير على هذه الهيئة أو تلك.

2 . ترتيب الموجودات

يعتقد " أرسطو" أن الموجودات بعضها أفضل من بعض، وهي تتفاضل بحسب غلبة الصورة أو المادة (الهيولى). فما كان من الأشياء في منزلة عالية، يكون قد غلبت صورتُه مادتَه، وما كان منها في درجة سافلة، يكون قد غلبت مادتُه صورتَه، حتى إذا وصلنا إلى الحضيض، وصلنا إلى مادة لا صورة لها؛ و إذا وصلنا إلى الذروة العليا ، وجدنا صورة لا مادة لها، وهما نهايتان لا وجود لهما في عالم الأعيان . أي في العالم الحسي . بل هما تجريدا ذهنيا. والصورة التي لا مادة لها في اعتقاد "ارسطو" هي الله وهو الموجود الأكمل صورة. والمادة (الهيولى) أزلية لا بداية لها وأبدية لا نهاية لها والقول أن الله يسبق المادة هو سبق منطقي لا زمني، كما تسبق المقدمة النتيجة في الاستدلال. ألا ترى؛ أخي الطالب؛ أنه قبل ظهور النتيجة لا يمكننا التحدث عن مقدمات وإنما فقط عن قضايا، لكنه في اللحظة التي تتحدد فيها النتيجة تظهر فيها المقدمات ورغم هذا التزامن في الظهور تبقى من الناحية المنطقية المقدمة متقدمة على النتيجة والنتيجة لاحقة بها لأنها ناتجة عنها و لكن دون تعاقب في الزمن.

العلّة الأولى Cause Première: يعتقد "أرسطو" أن التطور والحركة وخروج الأشياء من حالة **القوة** Puissance (أي من حالة الإمكان) إلى حالة **الفعل** Acte (أي إلى حالة الوجود الفعلي في العالم) لا يتم إلاّ بعلّة وهوما

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

يدعوه أرسطو بالمحرّك بالفعل، قال : " **إن كلّ خروجٍ من القوة إلى الفعل، محتاج إلى محرك بالفعل**"، وإذا كان لكل جسم بمفرده محرّكٌ، وجب أن يكون لهذا العالم بجملته محركٌ أيضا. وأن يكون هذا المحرك مفارقا للمادة لأنّه لو كان منبثقا عنها لكان محركا بالقوة لا بالفعل. ولو كان محرّكا بالقوة لكان ناقصا وفي حاجة إلى محرِّكٍ يخرجه من حالة القوة إلى حالة الفعل. ولمّا كان هذا المحرك لا يخالط المادة فهو منزه وبريىء عن الكثرة والتنوع؛ أي **أنه واحد يُحرّك العالم وهو لا يتحرك**، إذْ لو كان يَتحرك لكان له غاية خارج ذاته يتحرك إليها، في حين هو صورة مطلقة؛ وهو الغاية القصوى التي يتشوّق إليها كلّ شيىءٍ و يتحرّك نحوها وهو **ينجذب نحو الكمال** ، فلا توجد غايةٌ خارجة عن المحرك الأول. وهذا المحرك الذي لا يتحرك هو **العلة الأولى** وهو الله والله[1] بالنسبة إلى "أرسطو" هو عقل محض يدبِّر العالم ويحركه لا بمحرك ولكن بعقله، فنشاط المحرّك الأول الذاتي هو التعقّل.

3 . المعرفة

ارتبط إسم "أرسطو" بعلم المنطق الصوري من حيث هو منظّمه و واضع قواعده العامة ومصنفها، والمنطق الصوري علم يتناول طريقة البحث للوصول إلى الحقيقة[2] ولا يتناول مادة العلوم التي يبحث فيها، فهو آلة؛ " الأورغانون Organon "؛ العلوم جميعها ووسيلتها، وقد أطلق الرواقيون اسم"

---

1. علّة العلل La cause des causes.
2. راجع مشكلة انطباق الفكر مع نفسه .

http://www.onefd.edu.dz
جميع الحقوق محفوظة ©

رسائل التفكير الصحيح" على مؤلفات أرسطو المنطقية، كما كانت قيمة العلم وطرق تحصيله يشكّلان سويًّا موضوع دراسةٍ واحدةٍ[1].

طريقا المعرفة : يميّز أسطو بين طريقين أساسيين للمعرفة، وهما : طريق الحس وطريق العقل. ففي **الحس**[2] تنفعل الحواس بالمنبّهات الخارجية الحاضرة والنوعية، أي الخاصة بكلّ عضوٍ، وقد تشترك في تأدية المحسوس الواحد عدة حواس(نرى الحروف ونتلفّظها فنسمعها).

ومن الإحساس ينشأ الخيال والذاكرة ؛ فإذا كان الخيال هو تقبّل صور المحسوسات الحاضرة، فإنّ عمل الذاكرة هو استعادة صور المحسوسات القديمة التي كانت الحافظة قد خزّنتها من قبل. أمّا عمل العقل فيتمثّل في استجلاء الصور العامة والمبادىء الكلية والمطلقة والتصورات من الأعيان الموجودة في الواقع والوقائع المحسوسة؛ ومن هنا **تظهر علاقة التفكير بالإحساس** وهي علاقة وطيدة. فالمعارف كلّها تصل إلى العقل، **بعد أن لم تكن موجودة فيه** كما اعتقد "أفلاطون"، عن طريق الإحساس؛ أي أنّ في العقل استعدادًا للمعرفة (معرفة الكليات والتصورات العامة...)، فبالإحساس قد **أرى شكلاً معيّنًا** لكن بالعقل **أدرك ماهية ذلك الشيء**، ومن هنا يظهرتكامل الإحساس ونشاط العقل. ويقبل أرسطو **بفكرة وجود الأفكار الكلّية** التي قال بها أفلاطون من قبل، فـ"**لا علم عنده إلاّ بالكلّيات**"، غير أن هذه الحقائق الكلّية لا تملك وجودًا مستقلاً ومتعاليًا عن المحسوسات، كما اعتقد أفلاطون، فرغم أنّها مفاهيم عقلية، فإنّه يجب البحث عنها في المعطيات الحسية والوصول إليها عن طريق التجريد والتعميم على اعتبار أن

---

[1]. نظرية المعرفة عند أرسطو، مصطفى النشار . دار المعارف ، ص . 17.

[2]. يقول أرسطو : «من فقد حاسةً فقد علمًا ».

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

تلك **الكلّيات تمثّل ماهية الموجودات**، حيث" رأى **أنّ الكلّي هو الماهية التي يقوم عليها كلّ شيىء محسوس وعيني** ..وبالتالي فلا تعارض بين الإدراكات الحسية المتغيّرة والتي هي بغير قيمة وبين معرفة الوجود وذلك على الأقلّ من حيث الأساسّ[1]".

4 . الأخلاق

يهدف الإنسان من سلوكاته إلى تحقيق الخير الأسمى، فبعضُها وسيلة للخير، وهي **الفضائل**، والفضيلة عند "أرسطو" **وسط بين نقيضين** "**رذيلتين**"، فالكرم وسط بين البخل والإسراف؛ أي بين الإفراط والتفريط، **فالفضيلة اعتدال**[2]، أمّا الفضائل المقصودة لذاتها فهي **الفضائل العقلية** وهي التي تؤدي إلى **السعادة** لأنّها ناشئة عن العقل. والإنسان يملك القدرة على التمييز بين الخير والشر بإمكانه أيضا الوصول إلى **الحقيقة**. وفي العقل جزءٌ إلهيٌ، فإذا أطاع الشخص عقلَه شعر بقيمة تلك النعمة الإلهية فتزداد سعادته ونزوعه نحو فعل الخير واكتساب الفضيلة وحينئذ تكون الأعمال أعمالاً إنسانية على مقتضى العقل والخلق الكريم.

---

[1]. نظرية المعرفة عند أرسطو، مصطفى النشار . دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، ص . 33.

[2]. نُقش على معبد أبولو في دلفي:" لا شيىء في إفراط "، إنّ مبدأ الوسط والاعتدال يميّز كلّ منهج من مناهج الفلسفة اليونانية. قصة الفلسفة ،ول ديورانت، ص . 63.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الخلاصة و الاستنتاج

من خلال ما تقدّم يتبيّن لك ؛ أخي الطالب، سيطرة النزعة الواقعية على فلسفة "أرسطو" في مجاليْ المعرفة والعمل، كما تظهرقدرته العقلية في **التنظير والتنظيم والاتساق**، وهذا ما ميّز أيضًا العبقرية اليونانية بصفة عامة. وستبقى فلسفة "أرسطو" من أبدع النظم الفكرية وأكثرها تأثيرًا في كلّ الفلسفات التي نشأت فيما بعد، ، خاصة في الفلسفة الإسلامية وفلسفة العصور الوسطى، وستضمحلّ ملامح هذا التأثير مع بداية عصر النهضة الأوربية.

IV. الفلسفة الأخلاقية عند الرواقيين و الأبيقوريين :

بعد أن يصل الفكر إلى أوجّه ما عسى الإنسان أن يصنع به؟ إذا أردنا استثمار هذه المحاولات التنظيرية كلّها في حياتنا العملية ، كيف لنا أن نتصرّف، أو ما عسانا أن نرى؟

فإذا كان الإنسان يحرِّكُه عقل مدبّر هو الله، في عالم يخضع لنظامه، فهل يستطيع الإنسان أن يكون حرًّا طليقًا، يصنع ما يشاء ؟ فأين يكمن فضله، بالقياس إلى الأشياء؟

جميع الحقوق محفوظة ©

أولا : عند الرواقيين :عش على وفاق مع الطبيعة[1] :

ينطاق الرواقيون مع زينون الرواقي [2] (335 – 264 ق م) من **المبدأ** الذي يتحكّم في أشياء العالم الخارجي، وهو أنّ الله هوالعقل المطلق Logos، وإذا كان عاقلا، فالعالَم مسيَّرٌ بالعقل والحكمة، و ينتج من ذلك :

أ . أن العالم يسير نحو **غاية**، لا ينحرف عن قوانين النظام والثبات.

ب . وأن **العالَم خاضع لنظام ثابت** يسيّره حتمًا، قانون **العلّة والمعلول**، والإنسان في هذا العالم منزوع الحرّية، لأنّه لا يمكن أن يكون حرًّا في عالَم يخضع لـ"**ضرورة مطلقة**[3] ".

زينون يرشد إلى منافذ الحقيقة و الغلط

و**الإنسان الحكيم يعلم طبيعة الأشياء وتبعًا لهذه الطبيعة يسلك ويتصرّف.** فهم يرون أنّ **العلم والفضيلة شيىء واحد.** فإذا علم الإنسان شيئًا، فهو بالضرورة مؤثر لهذا الشيىء وفاعل له. فالحكيم،

---

1. " Vivre conformément à la nature".

2. زينون الرواقي335 – 264 ق م Zénon de Citium ، تمييزًا له عن زينون الإيلي (ق 5 ق.م) فيلسوف ورياضي يوناني اشتهر بقدرته العظيمة على الحجاج وبمفارقاته الفلسفية والمنطقية : كانعدام الحركة وله في ذلك عدة حجج.

3. عندما كان زينون الرواقي، الذي لا يؤمن بنظام الرق ، يضرب عبدًا له ارتكب ذنبًا، توسّل العبدُ أن يُخفِّف من ضربه له [قائلاً له إنّ فلسفته تقول أنّه مصيّرلا مخيّر في ارتكاب ذنبه، فأجابه زينون بأنّه هو أيضًا مصيّر لا مخيّر في ضربه له]، قصة الفلسفة لـ: "ويل ديورانت "، ص . 83.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

عند الرواقيين، **هو من يعلم قوانين الطبيعة ونظام الوجود و يلائم شعوره الداخلي مع هذه القوانين** وهذا النظام، وعليه أن يسلك سبيل الفضيلة. والفضيلة **مؤسسة على شيئين : العقل والعلم، وهما أصل الحكمة. والحكمة هي تحقق الفضيلة على صورتها النظرية العليا**[1]. وفي مجال المعاملة، لم يروا مبرّرًا للتفرقة بين بني الإنسان في المعاملة، ما داموا ينتمون جميعا لأصل واحدٍ، ويسيرون إلى غاية واحدة، ويخضعون لقانون واحدٍ. وهكذا عرف الرواقيون كيف يستثمرون العبقرية الفلسفية اليونانية في مجالٍ الأخلاق والحياة مع الناس، ويكفيهم فضلاً أنّهم رقّوا الشعور بالواجب، ودعوا إلى سموّ النفس فوق سفالة الحياة، إضافة إلى نزعتهم الكونية[2] فالإنسان، في فلسفتهم، مواطن للكون والعالَم أجمع.

ثانيا : عند الأبيقوريين :

أمّا "أبيقور"[3] فقد فكر في طريقة عملية تحقّق له أرقى الفضائل، وهي السعادة واللذة والسكينة فكلّ لذة فضيلة وكلّ فضيلة إنّما مصدرها اللذة، وأفضل الفضائل هي **الحكمة** لأنّها الوسيلة المؤدية إلى النظر الصحيح، المؤدي إلى تحقيق السعادة بوصفها مجموعة لذّات. وكذلك فضيلة العفّة وضبط النفس التي يستطيع بها الأبيقوري أن يتحكّم في شهواته وينظّمها، وكذلك الإشادة بفضيلة الشجاعة، فيجب أن **تخلوَ النفس من كلّ شعورٍ بالخوف مهما كان مصدره.** فالحكمة والعفّة والشجاعة والعدالة هي أهم الفضائل التي **تحقّق للإنسان السكينة**

---

[1]. الفضيلة هي الحكمة ، "صوفيا" .

[2]. الموسوعة الفلسفية ، لـ :عبدالرحمن بدوي ، ص . 544.

[3]. أبيقور 341 – 270 ق م Épicure مؤسس مدرسة " الحديقة " التي كان يعلّم فيها.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

والطمأنينة، وذلك ما ينشده الحكيم الأبيقوري فلا خوف من عقاب الآلهة ولا خوف من الموت... .

إنّ الأخلاق عند الرواقيين و الأبيقوريين؛ أخي الطالب؛ كانت تبحث عن **الانسجام بين مطالب الطبيعة الإنسانية وبين العالم الخارجي**، والبحث عن ذلك التوازن هو الذي ميّز الفلسفة اليونانية حتى قيل إنّها فلسفة الانسجام والاعتدال.

خاتمة : حلّ المشكلة

رغم أن العلم والفلسفة كانا موجودين قبل الحضارة اليونانية، فإنّهما قد بلغا ذروة نضجهما في بلاد اليونان. وهذا ما يميّز العبقرية اليوناينة بصورة عامة، من **قدرة على التنظيم والإبداع**. كما كانت الفلسفة اليونانية **تنشد الانسجام في كلّ ما تحاول أن تفهمه وأن تعمله**، وفي ذلك تتحقّق السعادة. وقد تفوّق اليونانيون كذلك في مقدرتهم على نشر علمهم وفلسفتهم، فنهلت منها أغلب الحضارات اللاحقة، وأخيرا يعتبر الكثيرون من مؤرخي الفلسفة أن بدء الفلسفة كان في القرن السادس قبل الميلاد عند اليونانيين[1]، وفي الأخير إنّ ما يميّز الفكر الفلسفي اليوناني هو عدم اكتفائه بتفسير الأشياء بل البحث عن حكمة التعامل معها حيث يمارس الاستقامة والسعادة، وبذلك يكون قد أنشأ أنساقًا فلسفية سيطرت بها على مجريات تاريخ الفكر الفلسفي الإنساني عامة.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

[1]. الموسوعة الفلسفية ، عبدالرحمن بدوي ، ص . 412 .

تطبيق : نص فلسفي

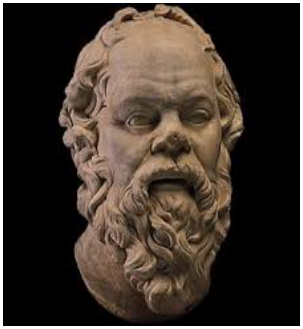

سقراط 470 – 399 ق .م

« سقراط : إنّك تعلم أنّ العيون تفقد حدّتها وتبدو تقريباً عمياء كما لو أنّها لا تبصر بجلاءٍ البتة حينما نوجِّهها نحو موضوعات ذات ألوان غير مضاءة بنور النهار بل بِوَميضِ النجوم الليلية.

تيتلت : إنّي أعلم ذلك جيّدا.

س : ولكن حينما نوجّهها نحو الموضوعات التي ينيرها الشمس فإنّها ترى بوضوحٍ وتبين أن رؤيتها تتّصف بالجلاء.

ت: بلا شك .

س : فلِنَتَصور إذن أنّ الأمر يكون واحدا بالنسبة للروح، فعندما تثبت أنظارها حول ما تنيره الحقيقة والوجود فإنّها تدركه وتعرفه وتبين أنّها تتصف بالتفهم. ولكن عندما تجيل أنظارها حول ما هو مختلط بالظلام، وما يولد وما يهلك، فإنّ رؤيتها تضعف ولم يعد لديها سوى آراء وتنيقل من الواحد إلى الآخر ويبدو أنّه يعوزها التفهم.

ت : فعلا، يبدو أنّ ذلك يعوزها.

س : اعترف إذن أن ما يبسط نور الحقيقة على موضوعات المعرفة ويكسبُ الذاتَ العارفةَ قوّةَ المعرفةِ هو مثَل الخير بما أنّه مبدأ العلم والحقيقة ويمكنك أن تتصوره كموضوع معرفة. ولكن، مهما كان جمال هذين الشيئين، العلم والحقيقة، فإنّك لا تخطىء البتة حينما تعتبر مثل الخير متميّزا عنهما ويفوقهما في الجمال. كما أنّنا

http://www.oneid.edu.dz جميع الحقوق محفوظة

نصيب في اعتبارنا النور والبصر متشابهين مع الشمس، وبالمثْل، في عالم المُثُلِ، إنّه يصح اعتبار العلم والحقيقة كلاهما متشابهين مع الخير، ولكن لا يصح أن نعتقد في أن الخير يكون ذالك أو تلك. يجب أن نتأمل في طبيعة الخير كأثمن ما يكون».

أفلاطون : الجمهورية

الكتاب السادس

تعريب : محمد العربي.

http://www.onefd.edu.dz

جميع الحقوق محفوظة (C)